الشَّيخ مختار الزُّرقاني، وحياته العلميَّة، والتَّربويَّـــة (الجزءُ الثَّاني)

د. حاتم مختار عبدالسَّلَام الزُّرقاني. - كلِّيَّة التَّربية.
قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة. جامعة مصراتة
h.alzorgani@edu.misuratau.edu.ly

المقدِّمـــــة:

الحمد لله ربِّ العالمين، الذي علَّم بالقلم، علَّم الإنسان ما لم يعلم، افتتح نزول القرآن بـ : ﴿**اقْـــرَأْ** ﴾، وفضَّل الذين يعلمون على الذين لاَ يعلمون، كرَّم العلماءَ، وأَنار لنا الطَّريق باتِّباع آثارهم، والصَّلَاة والسَّلَام على مَنْ عليه أُنزل القرآن، وبيَّنه للنَّاس أَتمَّ بيان: تلَاوةً، وتدبُّرًا، وعملًا بكلَام الرَّحـمن، وتعليمًا لخلق الله مِنْ إنسٍ وجان، فكان خير معلِّمٍ، بشيرًا، ونذيرا.

أَمَّا بعد:

فهذا بحثٌ بعنوان: "الشَّيخ مختار الزُّرقاني، وحياته العلميَّة، والتَّربويَّة الجزْءُ الثَّاني)، أَستكمل به فوائِدَ الجزءِ الأَوَّل، بإضافاتٍ تزيد سيرة الشَّيخ نضارةً وبهاءً، نعيش مِنْ خلَالهما مع أُخوةٍ فضلَاءَ أَعلَام، شرفتُ بكلماتهم، وشهاداتهم، في هذا العَلَم: الشيخ مختار عبدالسَّلَام الزُّرقاني - رحمه الله - ينفع الله بها - إنْ شاءَ - صاحبَ الأَثر، ومُظهره، وقارئَه، والمسلمين، والمؤْمنين، ويهدي الله بها الغافلين، وكلَّ مَنْ قال: آمين. فالشَّيخ قامةٌ علميَّةٌ، تربويَّةٌ، أَخلَاقيَّة، إداريَّةٌ، دعويَّةٌ، مؤَثِّرة، ابنُ ليبيا عامَّةً، ومصراتة خاصَّة، فهو مِنْ مشايخ وفضلَاءِ هذا البلد. والسُّؤَال/ هل لمشايخ البلد ـ الذين تغصُّ بهم بلَادنا - تلك القيمة التي توَهِّلهم لقيادة النَّاس فيها؟ وما أَثر الأَخلَاق في استجابة النَّاس لهم؟

وكنت قد أَنهيت الجزءَ الأَوَّلَ مِنْ هذا البحث الذي نُشِرَ في (مجلَّة الأَصالة، التي تصدر عنِ الجمعيَّة الليبيَّة للعلوم التَّربويَّة، والإنسانيَّة، في عددها التَّاسع، المجلَّد الثَّاني، يونيو 2024).

وهنا أَشكر كلَّ مَنْ أَسهم معي داخل البحث، أَو دلَّني على شيءٍ خارجه، أَو دعا لشيخنا، أَو بذل جهدًا معي، وإنْ لم يُوفَّق، وأَدعو لهم بصلَاح الحال، والأَهل، والذُّرِّيَّة، في الدَّارين. وقد سرت في هذا البحث على المنهج الوصفيِّ، والتَّحليليِّ.

وقسَّمتُه إلى : مقدِّمة، ومطلبين، وخاتمةٍ، وفهارس. المطلب الأَوَّل- حياتـه العلميَّـة: (وهو تكملةٌ للفرع التَّاسع مِنَ العشرة التي في الجزءِ الأَوَّل مِنَ البحث) ، والمطلب الثَّاني- منهجه في رسالة الماجستير: أَبوبكر بنُ العربيِّ المحدِّث، (وشمل اثني عشرَ فرعًا)

المطلب الأَوَّل- حياتـــــــه العلميَّـــــــة (وهو تكملةٌ للفرع التَّاسع مِنَ العشرة التي في الجزءِ الأَوَّل مِنَ البحث).

أَوَّلاً- نمـــاذج مختارة، مِنْ شهادات بعض المعاصـــرين : في هذه الفقرة، أُكْمِلُ استعراضَ أَقوال بعض مَنْ عاصر شيخنا -رحمه الله، وغفر له- والتقى به: قريبًا، أَو زميلًا، أَو طالبًا، أَو رفيقًا في مكان العمل، وأَبتدئُ استعراض هذه الأَقوال على ترتيب ورودها إليَّ :

1- يقول الأُسـتاذُ الشَّـيخ: أَحمد نصر(زميلُ ، وصديقُ ، ومجايلُ ، الشَّـيخ : مختار الزُّرقاني): "منذ طفولتي، وبواكير شبابي، أَسمع بآل الزُّرقاني في الغيران، وعندما كنت أَتردَّد إلى منطقة السُّـوق مع والدي، عرفتُ أَنَّ هناك ثلَاثة شبابٍ مِنْ عائِلة الزُّرقاني التي في الغيران، كانت عائِلتهم قد دفعتهم للتَّعلُّم في ذلك الوقت لحفظ القرآن، وأَعتقد أَنَّهم بدؤُوا الدِّراسة في زاوية الزَّرُّوق، وهم: "مخلوف عبدالسَّلَام"، و"مختار عبدالسَّلَام"، "وعلي سليمان"، الزُّرقاني. كان رئِيس العائِلة، وهو الحاج "عبدالسَّلَام الزُّرقاني"، على صلةٍ بوالدي، وكان تاجرًا، له مكانةٌ في الجنوب الليبي، وبعد فترةٍ قصيرةٍ مِنْ تلك الأَيَّام، تمَّ إنشاءُ جامع القـويري في العام 1371هـ ، وبدأَ أَوَّلاً بتدريس القرآن، ثمَّ أُنشئَ معهد القويري، وتولَّى الشَّيخ "شاهين"، إدارته، بعد أَنْ كان إمامًا للجامع في قلب مدينة مصراتة. وفي سنة 1955م، التحقتُ أَنا بالمعهد الذي افتُتِح رسميًّا قبل التحاقي به بسنتين 1953م، وعندها التقيتُ بأَولَاد الزُّرقاني الثَّلَاثة، كبيرهم: الشَّيخ "مخلوف"، وأَوسطهم: الشَّيخ "علي سليمان"، وأَصغرهم: الشَّيخ "مختار عبدالسَّلَام"، الذي كان ذلك الوقت ما زال في دراسة القرآن، ثمَّ دخل المعهد السَّنة التي تليها. وفي سنة 1956م، أَصبح المعهد تابعًا رسميًّا، وفرعًا للأَزهر، وكنت قد تخطَّيتُ السَّنة الثَّالثة، لأَشترك في السَّنة الرَّابعة مباشرة، حيث كان نظام الدِّراسة يسمح بذلك، فأَصبح بيني، وبين الشَّيخ "مختار"، عامان دراسيَّان، وذهبتُ بعدها إلى مصر؛ للدِّراسة، وذهب معي الشَّيخ "مخلوف". بعدها، مُنعت ليبيا - في ذلك العهد- الذَّهاب إلى مصر، بعد افتتاح المعهد الأَسمري، ومعهد أَحمد باشا، وتمَّ جَلْبُ أَساتذةٍ، ومدرِّسين، ومشايِخَ، أَزهريِّين، في مدينة البيضاء، كان الشَّيخ: "مخلوف"، قد أَكمل

السَّنة معي في مصر، وكنَّا معًا في السَّكن أَيضًا، ضمن تسعةٍ مِنْ طلَّاب مصراتة، وكنَّا نسكن في ضيافة عائِلة القويـري، بعد سنةٍ رجع الشَّيخ "مخلوف"، إلى البيضاءِ؛ نظرًا لظروفه، واستمرَّ في الدِّراسة في ليبيا، وكنَّا نأْمل أَنْ يلحق بنا الشَّيخ "مختار"، لكن؛ توقيف الإيفاد مِنْ قِبَلِ الدَّولة، حرمنا مِنْ صُحبته في الدِّراسة في مصر، وهكذا انقطعت عنِّي أَخبار الشَّيخ: "مختار"، وبالطَّبع، أَكمل الشَّيخ "مختار"، دراسته في مصراتة، صُحبة الشَّيخ: "محمَّد جبعور"، وآخرين، لكن؛ استمرَّ لقائِي بالمشايخ الثَّلَاثة، مِنْ آل الزُّرقاني، في فترات الصَّيف، عندما كنت آتي مِنْ مصر؛ لزيارة أَهلي، وكنَّا نسرد الذِّكريات في معهد القويري، وغيره، ونسرد لقاءَاتِنا، والدُّروسِ العلميَّةِ، والفقهيَّة، بل؛ كنت أَزور منازلهم في الغيران، وهو أَمرٌ تعوَّدت عليه منذ أَنْ كنَّا طلَّابًا معًا في المعهد. وقبل ذهابي إلى مصر، فأَنا أَقمت في المعهد إقامةَ مذاكرةٍ، حيث كانت لي خلوةٌ، أَقضي فيها النَّهار كلَّه، وأَعود ليلًا، وكان المشايخُ الثَّلَاثةُ يُقيمون في الدَّور العُلوي، ويمكثون في الغالب طيلت أَيَّام الأُسبوع. بعد رجوعي مِنْ مصر، عام 1967، بعد إكمال دراستي الجامعيَّة ، صرتُ أَلتقي بالشَّيخ "مختار"، والشَّيخ "جبعور"، خاصَّةً بعد تخرُّجهم مِنَ البيضاء، ورجوعِهِم إلى مصراتة، وهكذا استمرَّت اللقاءَاتُ الاجتماعيَّةُ، مع الشَّيخ "مختار"، الذي تحصَّل على درجة الماجستير في الحديث الشَّريف، وعند التحاقي بالتَّوجيه التَّربوي، كانت اللقاءَاتُ تكثر بيننا في العمل، والمناسباتِ الاجتماعيَّة، وغيرها. وعندما التّحق بالعمل في كلِّيَّة التَّربية، بعد معهد القويري، ومعهد المعلِّمين، كنت أَلتقي به هناك، خاصَّةً في أَيَّام المسابقات الثَّقافيَّة، التي كنت استَدْعَى فيها كحكمٍ في مجال القصَّة القصيرة، أَوِ الشِّعر. وهكذا استمرَّت بنا الحياة، إلى أَنْ فارقنا. كان الشَّيخ "مختار"، نِعْمَ الزَّميل، ونِعْمَ الرَّفيــق، كان بشوشًا، مِضيافًا، خلوقًا، طيِّبًا، جيِّد الحافظة للقرآن، وكان فوق كلِّ ذلك، يتميَّزُ بأَدبٍ جَمٍّ، وشمائِلَ حُلوةٍ، سمحة، ومشهورًا بالعلمِ، والحرصِ عليه. رحم الله الشَّيخ "مختار عبدالسَّلَام الزُّرقاني"، وأَسكنه فسيح جنانه"(1)

2- يقول الأُستاذُ الدُّكتور، أَحمد محمَّد الشَّــلَابي (زميلُ الشَّـيخ فـي كلِّيَّة التَّربية - مصراتة-): بسم الله الرَّحمن الرَّحيم شهادتي في الشَّـيخ الأُستاذ القدير الفقيد: مختار عبدالسَّلَام الزُّرقاني. كنتُ كثيرًا السَّماع بالشَّيخ "مختار" في منطقتنا، خاصَّةً مِنْ أُولئِك الطُّلَّابِ الذين كانوا يَدْرسون في معهد القويري الدِّيني في نهاية السَّبعينات مِنَ القرن العشرين، ومنهم: الشَّيخ المرحوم "الزُّبير علي بن نصر"، جاري وصديقي، ثمَّ أَخي المرحوم "جمال محمَّد الشَّلَابي"، الذي رحل مبكِّرًا مع الشَّيخ الزُّبير، وكذلك مِنَ

الشَّيخ الأُستاذ "محمَّد عبدالسَّلَام القويري"، الذي أَصبح لاَحقًا خطيب مسجد أولاَد بعيُّو، لكنَّ معرفتي به توثَّقت شيئًا فشيئًا عندما التحقتُ بالمعهد العالي لإعداد المعلِّمين، وذلك في العام 2001/2000، أُستاذًا قارًّا، وكان هو مَنْ قَبِلَ أَوراقي، بوصفه مسؤُولاً، ومؤَسِّسًا أَوَّليًّا -ليس لقسم اللغة العربيَّة، والدِراسات الإسلَاميَّة، فحسب- بل؛ لأَنَّه مسؤُولٌ ومؤَسِّسٌ للمعهد بكامله، منذ أَن بدأَ المعهد برامجه التَّدريبيَّة عام 1998/97، بعد أَن كان نشاطه يقتصر على تأَهُّل المعلِّمين الموجودين في التَّعليم العام، ورفعِ كفاءَتهم، وبذلك أَصبح المعهد بفضل الشَّيخ "مختار الزُّرقاني"، المؤَسَّسة الوحيدة بمصراتة التي تختصُّ بإعداد معلِّمين مؤَهَّلين، بعد أَنِ انتهت مرحلة التَّأْهيل المتوسِّط، وأُغلقت معاهد المعلِّمين، نظام الخاص (5 سنوات) بعد الابتدائِيَّة، والنِّظام العام (سنتان بعد الابتدائِيَّة)، وهو نظامٌ بدأَ يختفي تدريجيًّا مِنَ المدن الكبيرة، واقتصر على المدن الصَّغيرة، اختفى نهائِيًّا؛ نظرًا لتغيُّر خطط التَّعليم، وتوسُّع البرامج التَّعليميَّة، وتطوُّرها، وحاجة البلَاد إلى المزيد مِنَ التَّأْهيل، والإعداد لمعاهد عليا، وكلِّيَّاتٍ جامعيَّة، يُعهد إليها بالقيام بمهمَّة إعداد المدرِّسين.

أَقول: إنَّ الفقيد الشَّيخ "مختار" كان مُسهمًا، ومؤَسِّسًا، في جميع هذه المراحل، فبمجرَّد افتتاح المعهد العالي للمعلِّمين (بتسمياته المختلفة)، طُلب منه الإسهام فيه، ولكنَّه كان قبلها أُستاذًا متميِّزًا في معهد المعلِّمين المتوسِّط، شعبة اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإسلَاميَّة، وكان قبلها أُستاذًا متميِّزًا بكلِّ المقاييس في معهد القويري الدِّيني، الذي عمل فيه لسنواتٍ طويلةٍ قبل إلغاءِ التَّعليم في ليبيا، في نهاية العام الدِّراسي 1986 ، وأَمَّا عن تجربتي معه في المعهد العالي لإعداد المعلِّمين، الذي تحوَّل سريعًا إلى مسمَّى: كلِّيَّة التَّربية، وأُلحق بجامعة مصراتة (السَّابع مِنْ أُكتوبر سابقًا)، فكانت تجربة التِّلميذ مع الأُستاذ، فهو الذي قَبِلَ أَوراقي، ثُمَّ تولَّى إرشادي -بوصفه رئِيسًا لقسم اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإسلَاميَّة- إلى المواد، وتفاصيلها، التي تقع في نطاق تخصُّصي الجديد، ذلك أَنَّ تأْهيلي السَّابق كان في اللغة الإنجليزيَّة، وكنت حين قدومي للمعهد العالي لإعداد المعلِّمين، لاَ خبرة لي في التَّدريس في مجال تخصُّصي الجديد، فكان الشَّيخ "مختار" نِعم الموجِّه، ونِعم الأُستاذ، ونِعم المعلِّم، ونِعم المربِّي، ونِعم الإداري المتميِّز، والقيادي الماهر، كان يُعالج الأُمور، ومشاكلَ الطُّلَّاب، بكلمةٍ، ورويَّةٍ، وخبرةٍ، أَثْرَتْهَا السَّنوات العديدةُ المديدةُ التي قضاها في التَّعليم العالي، والمتوسِّط، والتَّعليم الدِّيني.

كان الليبي الوحيـد في بداية تكـــوُّن المعهد العالي للمعلِّمين، الذي يحمل مؤَهَّلًا عاليًا، وكان بقيَّةُ الأَساتذة -على خبرتهم، وإخلَاصهم، وقدرتهم- لاَ يحملون مؤَهَّلًا أَكثر مِنَ الليسانس، أَو البكالوريوس، بما فيهم مدير المعهد في ذلك الوقت، الأُستاذ "أَحمد الحويك"، الذي أَكمل دراسته لاَحقًا، وحصل على درجة الدكتوراه في مجال (الإدارة التَّربويَّة)، على ما أَحسب، في نهاية العقد الأَوَّل مِنَ القرن الحاديَ والعشرين.

كان الشَّيخ " مختار"، المتخصِّص في علوم العربيَّة، وعلوم الشَّريعة، يحمل درجة الماجستير في الحديث الشَّريف، ويقوم بتدريس المواد الشَّرعيَّة، مِنْ: فقهٍ، وأُصولٍ، وعباداتٍ، ومعاملَاتٍ، وغيرها، أَمَّا بقيَّة المواد، فقد كان يُدرِّسها أَساتذةٌ مِنْ: مصر، والعراق، والأُردن، وفلسطين، فالشَّـــيخ "مختار" كان الليبيَّ الوحيدَ المؤَهَّلَ للتَّدريس في التَّعليم العالي في تلك الأَيَّام الخوالي. وفي منتصف العقد الأَوَّل، تمَّ التَّفكير في توسيع القسم _اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإسلَاميَّة؛ ليصبح قسمين؛ بسبب حاجة المجتمع، وتطوُّر المونة، وتوسُّع نظام الثَّانويَّات التَّخصُّصيَّة في ذلك الوقت، فَعُهِدَ إلى الشَّيخ "مختار" بتأْسيس قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة، بكلِّيَّة التَّربية، وقام بإعداد مقرَّراته، رفقة المرحوم الفقيد، الشَّيخ "علي أَحمد عبدالجليل"، وبذلك كان هو أَيضًا مَنْ أَسَّس، وافتتح، قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة، بكلِّيَّة التَّربية، وهو أَوَّل قسمٍ يتصدَّى لتدريس الدِّراسات الإسلَاميَّة، والشَّريعة، في جامعة مصراتة، وذلك قبل افتتاح القسم النَّظير في كلِّيَّة الآداب، الذي اتَّخذ مِنَ المبنى المجاور لمكتبة سيدي "أَحمد زرُّوق" مقرًّا له. وأَذكر أَنَّه جاءَني في أَثناءِ تكوين القسم، في قسم اللغة العربيَّة ، الذي كان يرأَسه؛ ذلك لأَنَّه كان سيتولَّى رئَاسة القسم الجديد (قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة)، فَقَبِلْتُ ذلك، نزولاً عند رغبته، وبناءً على طلبه الذي لم أَكن قادرًا أَبدًا على ردِّه، أَو حتَّى إبداءِ مظاهر الرَّفض لذلك، فقبلتُ رغم انشغالـــي في ذلك الوقت بالاستعداد للسَّفر إلى الخارج؛ لأُكمل دراستي للدُّكتوراة في مجال (الأَدب المقارن، بين اللغتين : الإنجليزيَّة، والعربيَّة)، تخصُّصي اللَّاحق.

وحتَّى قبل إيفادي بقليلٍ، كانت كلِّيَّة التَّربية لاَ تضـمُّ إلاَّ عددًا قليلًا مِنَ العناصر الوطنيَّة، يُعدُّون على أَصابع اليد الواحدة، فمن ضمن كادر قسم اللغة العربيَّة، كان الشَّيخ "مختار" أَوَّلهم، مؤَسِّسًا، ورئِيسًا للقسم، إلى جانب الدُّكتور "بشير أَبوشوفة"، الذي التحق بالقسم قبلي بأَشهر قليلة، وكنت ثالثهم، غير أَنَّني بمجرَّد التحاقي بالكلِّيَّة، تمَّ تكليفي برئَاسة قسم اللغة الإنجليزيَّة، مع تكليفي أَيضًا بتدريس موادَّ فيه، وتدريس مادَّة الأَدب الحديث، في قسم اللغة العربيَّة. وفي كلِّ عملي، كنتُ أَستمدُّ الخبرةَ،

والمشورةَ، مِنَ الشَّيخ "مختار"، الذي كان يستبشرُ، ويبتهج، بمجرَّد أَنْ تُبادر إلى سؤَاله عن أَمرٍ يتعلَّق بإدارة القسم، أَوِ التَّدريس، أَوْ معالجة مسأَلةٍ إداريَّةٍ معيَّنةٍ، فكان لسان حاله يقول: اسأَلوني قبل أَنْ تفقدوني. وفعـلًا، وصل الشَّيخ إلى سِنِّ التَّقاعد، وخسرنا، وخسرت الكلِّيَّةُ بيت خبرةٍ كبيرٍ، كان له الفضل في التَّأْسيس، والتَّوجيه، وحسن التَّدبير، وحسن الإدارة، وحسن سير هذا المرفق الذي صار الآن أَكبر كلِّيَّةٍ في جامعة مصراتة، والذي أَصبح يمدُّ المدينة، وغيرها، بالمدرّسين، والمعلِّمين، وقد توسَّعت أَقسامه، حتَّى بلغت التِّسعةَ عشرَ قسمًا، بعد أَنْ بدأَت بقسمين، أَو ثلَاثة أَقسامٍ، فقط.وبعد تقاعده بسنواتٍ، أُصيب الشَّيخُ بوعكةٍ صحِّيَّةٍ، ثمَّ شاءَ العليُّ القديرُ أَنْ يستردَّ الأَمانة التي أَودعها في عبده المعطاء، الذي شاءَ أَنْ يُسخِّره في إعداد أَبنائِه، وتلَاميذه، ومريديه، ومحبِّيه، وطلَّابه، في مختلف مراحل التَّعليم، وخاصَّةً التَّعليم العالي، والجامعي، فغادرنا المرحوم الفقيدُ، تاركًا ذُخرًا، ووديعةً، مِنَ المؤَهَّلين، والنُّجباءِ، وهم الذين تقوم عليهم الآن، الدِّراسات الإسلَاميَّة، بعامَّة مدينة مصراتة. رحم الله الشَّيخ "مختار"، وأَسكنه فسيح جنَّاته، وجزاه عنَّا جميعًا خير الجزاءِ، فقد كان خادمًا لدينه، ولغته، ووطنه، مخلصًا، صابرًا، مثابرًا، مضحِّيًا، وناصحًا تلَاميذه. نرجو أَنْ تُطلق كلِّيَّة التَّربية اسمه على إحدى صُرُوحِهَا، أَو مدرَّجاتها، كجزءٍ صغيرٍ مِنْ تخليد ذكرى تأْسيسه لهذه الكلِّيَّة (ذِكْرَى إسهامه الأَكبر في إنشائِها، واستمرارها، وتطويرها)، فإنَّه إذا ذُكِرَ المؤَسِّسون في جامعةِ مصراتة، كان الشَّيخ "مختار" مِنْ أَبرزهم (2).

3- يقولُ الأُستاذ الدُّكتور، محمود ملودة (تلميذُ الشَّيخ مختار الزُّرقاني) : مدرّسٌ مصريٌّ اسمه (جلَال) - رحمة الله عليه- المهم، في واحد مِنَ الزُّملَاء، [هناك أَحد الزُّملَاء] ضبطه الأُستاذ جلَال يغش [ينقِّل]، دار خلعة، جي الشّيخ مختار، خير خير خير، لاَ باس، ترى شوف، بُصْ بُصْ ، جي لقاه متَّربل بالمحاجيب [حجيبات]، تصفَّحهن حياة الشّيخ، قالَّه: يا فلَان، إنت خشّيت عالماجستير طول ، هذا اللي يديروا فيه في الماجستير، البطاقات هذي، إنت والله الوقت الِّلي قدرت اطَّلّع فيه المهم مِنَ الكتاب ودرته، إنّك عبقري، كلَّا إنت هَذِينَ معاش تحتاجهن راهو، إنت مِنْ لمَّا قدرت ادِّير الحاجات هذيما !!! هذا الشَّخص، تقريبًا، أَصبح وزير، والله دَارْلاَ فيه تغيير في حياته، مِنْ طالب مستهتر، واللَّا [أَصبح] مِنَ الطُّلَّاب يجيب فيها مِنَ الأَوائِل، قتلك واللا حتَّى وزير بعدين [أَنا: طريقة تربويَّة]. طريقة تربويَّة ، نقله يا راجل نَقْلَة رهيبة جدًّا! قالَّه إنت ما تحتاجش ، إنت دماغك اللي قدرت الكتاب تلخصه في

هالوريقات هذين، حاجة، إنت قارئ، ولخصت المهم، قالَّه: هذا اللي يديروا فيه في الماجستير...! والله نقله نقلة جوهريَّة - رحمة الله عليه- إنْ شاءَ الله ربِّي يلحقنا به إنْ شاءَ الله مسلمين، غير مغيِّرين، ولاَ مبدِّلين، رحمة الله عليه، كان مِنَ الشَّخصيَّات الدَّمثة الطَّيِّبة درسنا عليه كتاب (كبرى اليقينيَّات الكونيَّة) لـ: محمّد سعيد البوطي، في أَوائِل الثَّمانينات، في الثَّانوي، ومذكَّرة التَّوحيد للشّيخ (مصطفى التريكي)، وكتاب، قرَّاه هو حياة الشّيخ مختار -رحمة الله عليه- كتاب راهو صعب، يتناول في قضايا كبيرة، على مستوى ردود الشُّبهات، ومستوى التَّوحيد، قضايا مهمَّة، والله يجيب فيها بتلخيص - رحمة الله عليه- طبعًا، هو قاري نَهِمْ، جاي مستعد، ومجهِّز نفسه، وجاي يكلِّم فينا احني كشباب، في ذلك الوقت عندنا شوي توهان هكِّي، إلخ، فهو سبحان الله، يعني يقول: انتم تفكروا، اتشوفوا هكِّي، اتقولوا هكِّي، آهو انردُّوا هكِّي، انحطُّوا هكِّي، والله، نسأَل الله أَنْ يكون في ميزان حسناته، يعني والله الحصانة اللي خذيناها مِنْ معهد القويري عن طريق هؤُلاَءِ المشايخ، يعني الحق، فضل مِنَ الله، منعتنا مِنَ التَّطرُّف، منعتنا مِنْ أَشياءَ كثيرة، رحمة الله عليهم كلهم، كانوا على قدر كبير مِنَ الوعي، و على قدر كبير مِنَ المسؤُوليَّة، و على قدر كبير مِنَ العلم [أَنا: كان تعليم على أُصول صحيحة]، والله، رحمة الله عليهم، رحمة الله عليهم، الشِّيخ (جبعور)، القيادة متكاملة كانت في القويري، الشِّيخ (... أَبوفناس)، رحمة الله عليه، هذا كان، في الشِّعر، وفي القصَّة، وفي المواريث، والأَساتذة المصريِّين، حتَّى همَّا كانوا يدرِّسون في الأَدب، وكان مسابقات القرآنيَّة، المسابقات الأَدبيَّة، شاركنا، أَني شاركت ساعتها في القصَّة القصيرة، كانت على مستوي ليبيا كلها، يجوا مِنَ البيضاء، ويجوا مِنِ طرابلس، ويجوا مِنْ جميع الأَماكن، يعني مهرجان يقعد حتَّى أُسبوع، يعني بصراحة كانت مؤَسَّسة، والله كان مؤَسَّسة معهد القويري، كان فيه (الشِّيخ جبعور)، و (الشِّيخ قِرّيو)، بهذا المستوى، كان فيه شباب صغار، كان هالوقت: الشِّيخ (علي عبدالجليل) -رحمة الله عليه- والشِّيخ محجوب أَبوليفة، والشِّيخ إبراهيم بن غشِّير، أَوَّل سنة جو، لحِّقنا عليهم احْنِي... الشِّيخ أَبوليفة، والشِّيخ علي: قرُّونا في الصَّرف، الشِّيخ إبراهيم: قرَّانا في السِّيرة، غير همَّا شباب صغار، كيف متخرجين هديك الوقت جابوهلنا . وبعدين الكبار، كيف الشِّيخ (علي أَبوشحمة)، الشِّيخ (محمَّد الكبير)، رحمة الله عليه، الشيخ (مفتاح اللبيدي): درسنا عليه المواريث، يعني قتلك، كانت مؤَسَّسة بمعنى الكلمة... والله! احني تو تأُسف وين، إنّك في ذلك الوقت معرفناش قيمة هؤُلاَءِ الرِّجال، بحكم صغار، وبحكم، يعني، صغيِّر إنت طالب في الثَّانوي، تو برِّق في طلبة

الثَّانوي في الوقت يعني [أَنا: ومع هذا كانوا طلبة في ذلك الوقت]، كانوا طلبة، بحكم مافيش انشغالاَت ، ومافيش اللي تو، لكن؛ إنت بتجي تقارن، يعني شباب في عمر16 سنة في ذلك الوقت، وكان العلوم اللي تدرَّس، راهي علوم الآن يتلقّوا فيها ناس في الثَّلاثين، في العشرينات، يعني ما شاءَ الله... لكن؛ همَّ كانوا بالهم واسع، حياة الشِّيخ (عيسى بوحجر) -رحمة الله عليه- والشِّيخ (علي بوشحمة)...، والوالد هذا [الشّيخ مختار]، كان مِنْ أَكثر النَّاس كان قربًا لينا احني الطُّلَّاب -رحمة الله عليه-.

والله في أَشياء كنَّا، أَني موقف صارلي مثلًا: طلَّعني (محمود حمدون) هداي الآن غياب، وكان الشّيخ مار، مشيتله، قتله: ياشيخ، راني أَني غايب، قال: شي عندك، شي عندك؟ قتله: والله أَني طالع مع (سليمان زوبي) والجماعة هذيما، ونحسابوا روحنا منولُّوا، ومعاش قدرنا انولُّوا! [قال]: معاش اتعاودها، قتله: حاضر، غير فك عليَّ... جي شفعلي والله هه -رحمة الله عليه- يعني بحكم القرابة، إلخ، طحت عليه، والله شفعلي، جي قاله: هذا واخذ منِّي الإذن، [طبعًا يقصد عدم إعادة الفعل]، وفعلًا، معاش طلعت يعني، وحرِّص علينا، قالِّي: راهو يعني اتكون مرَّة ثانية انكلِّم (الحاج محمَّد)، قتله: لاَ لاَ، خلَاص، إنْ شاءَ الله، فرحمة الله عليهم، [أَنا: المشايخ كان ليهم احترام، وليهم تقدير، ودخولهم في مسأَلة...]، أَهل أَهل أَهل، أَهل، الشِّيخ جبعور هدايا، يعني والله، والله، أَكثر مِنْ والد، يرعى في الأَولاَد، ويرعى فيهم، ويشوفهم هكِّي، ونشوف فيه يعني، عندنا زملَاء ساعتها، عندهم أَولياء أُمورهم متوفيين، وإلى آخره، اكتشفنا بعد ما كبرنا، الشِّيخ كان يدعم فيهم حتَّى ماليًّا، إي والله، والله كان يرعى فيهم ماليًّا، يعني بعد تو محيش كبرنا، وقعدنا انراجعوا في كذا، انقولوا احني كانوا يعطوا فينا ثلَاثين، وأَربعين، وخمسين، جنيه، هكِّي شهريًّا، إلخ، كان، كان الشِّيخ رعاية، رعاية حتَّى اجتماعيَّة، مِنْ جيبه الخاص، مهناك دولة تدفع أَي في ذلك الوقت، يعني، هذا دور. اليوم احني دور التَّلمذة اللي حكينا عليه، كان في معهد القويري، والله كان موجود، التَّلمذة، يعني مجموعة، تو الشِّيخ (قواسم)، بدأَت علاقته: الشِّيخ (مصطفى قواسم)، بدأَت علَاقته بالشِّيخ (قِرّيو) راهو مِنْ معهد القويري، استلطفوا بعضهم، وفعلًا، بدأَت مِنْ ذلك الوقت، واللَّا تلميذه، وهكذا، يعني، كانت فيه، معظم الأَساتذه كان عندهم مجموعة مِنَ التَّلَاميذ، ولاَزمينهم، ويمرُّوا عليهم، وإلخ، وهذي اليوم -إنْ شاءَ الله- نبُّوها مِنْ حضراتكم ياشيخ حاتم، إنْ شاءَ الله تكونوا مع هالجيل الجديد، التَّحوُّل إلى التَّلمذة، التَّلمذة هذي، يعني تصبح أَنت أَب روحي لهؤُلاَء، بدل مِنْ هالجفوة، وفكرة أُستاذ جامعي معزول عن الطُّلَّاب، والطَّالب بينه وبينه وعاء زمني،

ويِسَّقِدْ، لاَ، في جوانب أُخرى، منعلمه الحياة، ومنعلمه المشورة، ويرد عليه، ويشاور فيه، وهكذا كانت الطُّلَّاب. يعني تو يمشوا للشِّيخ جبعور، مثل يشاوروا فيه حتَّى في زواجهم الشَّباب...، ياشيخ، منخطب كذا، مِنْ عيت فلَان، يقوله: باهي، خيرة، وما شاء الله، وتمام، والله، يشاوروا فيه في كلِّ التَّفاصيل، وهذي هي التَّلمذة، اللي احني إنْ شاءَ الله، نبوها احني إنتم في الجيل، تتجدَّد معاكم. واللي للأسف نظام التَّعليم الآن هو يعزل فينا، عبارة عن مادَّة وتنتهي مع الطَّالب وخلَاص، ما في، لكن؛ التَّعليم امتع العُرصات، وامتع الجوامع، وامتع الحلَقات.

يعني إنت زي الشِّيخ (افنيخرة) الآن، هذيما ناس كان عندهم: واحد، واثنين، وثلَاثة، مِنَ الأَبناء، الشِّيخ (افنيخرة) تو عنده عشرات الأَبناء، الشِّيخ (بو مزيريق) عنده عشرات الأَبناء، اللي كانوا يمشوا لبيته، ويدرسوا في المسجد امتعه، وإلخ، وهذي هيَّ التَّلمذة، اللي إنتم إنْ شاءَ الله، نبُّوها تتجدَّد معاكم إنْ شاءَ الله [أَنا: الشِّيخ (جبعور)، كانت مربوعته لاَ تقفل]، إي نعم، لاَ تقفل، هؤُلاَء هذي التَّلمذة، هؤُلاَء هي الأُبوَّة الحقيقيَّة، هذا هو معنى الكلمة (العلم رحمٌ بين أَهله)، إن شاءَ الله ربِّي يوفِّق، إنْ شاءَ الله.

[الشِّيخ مختار: توَّا درِّس المادَّة هذي بس اللي درِّسكم فيها، واللَّا في مواد أُخرى؟)، لاَ لاَ، أَني نحكي اللي درسته عليه (كبرى اليقينيَّات الكونيَّة)، لكن؛ درِّس هوَّ في كل هذينا، درّس في الحديث فترة كبيرة، "المنهل الحديث"، درَّسه فترة، وكان متميِّز فيه، كان مسكه واحد اسمه (أَحمد نوح)، مدرِّس مصري، ثمَّ جي الشِّيخ (مختار)، وتفوَّق فيه، في الحديث كان متفوّق الشِّيخ (مختار)، يعني في علم الحديث، هذا تخصّصه، يعني جي، وكان محتكره (أَحمد نوح) هذايا، جي هوَّ بصراحة، كان في فتح كبير، لكن؛ أَني للأَسف، الحديث كلَّه خذيته على (أَحمد نوح).

الشِّيخ [مختار] هذا قرينا عليه، قرَّروه علينا جديد، وما فيش مِنْ خش علي الكتاب إلاَّ هوّ، جابوه... [أَنا : هل هوَّ كبرى اليقينيَّات الكونيَّة تقصد؟] (كبرى اليقينيَّات الكونيَّة)، والله الكتاب مازال محتفظ بيه مِنْ ذلك الوقت يعني، مِن الشِّيخ مختار يعني، هوَّ اللي حصّلناه منَّا الكتاب، هوَّ كان هكِّي لاَزم ما لاَزم، الكتاب هذا حصِّلته منَّا هوَّ الشِّيخ مختار، كاملًا، يعني كانت مقرَّرة ملاَزم منَّا... ملاَزم فرضوها علينا...، لكن؛ هوَّ عطانا الكتاب كامل، أَني على الأَقل تحصَّلت بحكم القرابة، رحمة الله عليه، وقِرْهلِّي الكتاب كاملًا، يعني خذيته منَّا، وقاعد والله محتفظ بيه لاَ توَّا الكتاب، منه هوَّ مِنَ الشِّيخ يعني. فالشِّيخ كان قرَّى الحديث فترة، قطاع واجد قرَّاه في الحديث، [أَنا: هوَّ

جي للقويري، انتقالةً مِنَ الجامعة، لأَنَّ هوَّ كان في البيضاء غادي]، صحيح، صحيح، صحيح، هو جي ماجستير [أَنا: ماجستير، وكان مدرّس غادي باعتباره معيد، ودراسات عليا، وكان يدرِّس في نفس الوقت، لكن؛ ما طالتش المدَّة، باعتبار أَنَّ الجامعات لُغوهن] صحيح [وكذا، ثمَّ انتقل هنا لمعهد القويري]، وبعد لمَّا فتحت الجامعة، مش عارف، هوَّ التحق بيها واللا لاَ، معاش نذكّر؟ [إِي التحق بكلِّيَّة التَّربية هنا]، إِيوه إِيوه، بكلِّيَّة التربية، [هو كان مؤَسِّس، لقسم الدِّراسات الإِسلَاميَّة، وقسم اللغة العربيَّة، بكلِّيَّة التَّربية هنا]، زيادة: بل للكلِّيَّة -رحمه الله- أ.هـ رحمة الله عليه [أَنا: آمين إِنْ شاءَ الله]، وحتَّى الشِّيخ (مخلوف)، حتَّى هوَّ كان في مدرسة: 28 مارس هذي، كان ليه دور كبير جدًّا، فيه هوَّ والشِّيخ (محمَّد جلوال)، ثنائِي كان مرعب [أَنا: والشِّيخ (علي)، حتَّى هو]، والشِّيخ (علي)، هذيما ثنائِي كان مرعب في مدرِّسي اللغة العربيَّة، والموجِّهين كان ما يطلع منهم إِلاَّ طويل النَّفس، لاَ، كانوا هذيما بحر بصراحة، في اللغة، والموجِّهين اللي كانوا يتقعَّروا على الأَساتذة إِلخ، يوقفوا قدَّام هذيم، والله العظيم، رحمة الله عليهم جميعًا، آه، أَصبحوا هم الآن في دار الحق، واحني لاَزلنا في دار الباطل، [أَنا: إِي، والله، اللهمَّ اغفر لهم وارحمهم]، نسأَل الله أَنْ يجمعنا بيهم [على الخير]، إِنْ شاءَ الله، ويجعل الله الخِلِف فيكم بالخير [أَنا: آمين، إِنْ شاءَ الله، وبكم دكتور]، إِن شاءَ الله موفَّقين، إِنْ شاءَ الله [أَنا: جزاك الله خير دكتور] الله يسلمك [أَنا: بارك الله فيك](4)

4- يقولُ الأُستاذ الفاضل: عمر محمد أَبوشعالة (تلميذُ الشَّيخ مختار الزُّرقاني): السَّلَام عليكم، عندما علمتُ بأَنَّ كتابا [بَحْثًا] في طور التأليف [الإِعداد]عن سيرة ومسيرة الشَّيخ، الأُستاذ، الدَّكتور، المرحوم/ مختار الزُّرقاني -غفر الله له، وتغمَّده برحمته الواسعة-، والذي يُعِدُّهُ ابنه: د. حاتم مختار الزُّرقاني؛ رغبت حينها بأَن أَتشرَّف بالمشاركة في كتابة ما عَلِقَ بالذَّاكرة مِنْ ذكرياتٍ قليلةٍ معه؛ وعليه نبدأُ على بركة الله بهذه الذِّكرياتِ القليلة: لقد كنتُ حينها طالبًا بــ (المعهد الدِّيني القويري) أَو (معهد مصراتة الدِّيني) كما أَحَبَّ نظامُ القذَّافي أَن يسمِّيه آنذاك ؛ كان ذلك في مطلع التِّسعينات؛ وعلى التَّحديد: العام الدِّراسيّ 1983/ 1984، وأَتَذَكَّرُ أَوَّلَ لقاءٍ لي مع المرحوم، وأَنا طالبٌ بالمرحلة الثَّانويَّة، وأَظنُّها السَّنة الثَّالثة ثانوي، كان الشَّيخ حينها يدرِّسنا في مادَّة (مذكِّرة التَّوحيد) في العقيدة الإِسلَاميَّة، وهو منهجٌ مِنْ مقرَّرات الأَزهرِ الشَّريف بمصر؛ حيث كان المعهد الدِّيني في نشأَته تابعًا للأَزهرِ الشَّريف، ويسيرُ في تعليمه على منواله. وبصدقٍ ودون مبالغةٍ أَو مجاملةٍ، لقد كان الشَّيخ مختار

-رحمه الله- مميَّزًا في تدريسه لهذه المادَّة، وله قدرةٌ عجيبة، وأُسلوبٌ بديعٌ في الإقناع، وفي تقديم الحججِ العقليَّةِ، والنَّقليَّة؛ لترسيخ العقيدة الإسلَاميَّة في عقول الطُّلَّاب، وبصدقٍ لطالما شَدَّ انتباهي أُسلوبه، ولاَ أَتذكَّر أَنَّني كنت أَشْرُدُ بفكري عن شرحه وتقديمه؛ بل كنت متجاوبًا ومتابعًا بشغفٍ لأَصل معه إلى الحقيقة الإيمانيَّة بالله، ورسوله مُحَمَّدٍ -صلوات ربِّي وسلَامُه عليه، وعلى آله الكرام. كان -رحمه الله - في تدريسه لهذه المادَّة ينطلق مع الدَّليلِ العقليِّ المعتمِدِ على المنطق والعقل، والمعتمِدِ - أَيضا - على الدَّليل العقليِّ المعتمِدِ على النَّظر والتَّفَكُّرِ في مخلوقات الله -تعالى- بدايةً مِنَ النَّظَرِ في الأَنفس التي بين أَجنابنا، ثمَّ النَّظَرِ في المخلوقات العظيمة: كالسَّماء وما حوته مِنْ أَفلَاكٍ، وكواكبَ، ونجومٍ، وشموسٍ، وأقمار، ثمَّ النُّزولِ إلى الأَرض وما حوته مِنْ كائِناتٍ حَيَّةٍ حيوانيَّةٍ ونباتيَّةٍ لاَ يكاد أَحد يُحصيها غير الله تعالى، وما حوته مِنْ جماداتٍ عجيبةٍ وعظيمةٍ مِنْ بحارٍ وجبالٍ وصحارى. لقد كان -رحمه الله- ينطلق بطلَّابه في ترسيخ العقيدة الإسلَاميَّة بهذا الأُسلوب الذي لاَ يُمَلُّ، لقد كان يمزج بين الأَدلَّة العقليَّة والنَّقليَّة، وربَّما كان مغلِّبًا للأَدلَّة العقليَّة [شارحًا، ومتوسِّعًا]؛ حتى لاَ يترك للعقل فجوة مِنَ الشَّكِّ والظَّنِّ، ثمَّ ينطلق ساردًا الأَدِلَّةَ النَّقْلِيَّةَ، مُبْتَدِئًا بآيات الذِّكر الحكيم، ثمَّ مُثَنِّيًا بما صحَّ مِنَ السُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفة؛ وكانت الحصَّةُ لاَ تنتهي حتَّى يقدِّم حوصلةً لما تمَّ مناقشتُه وبحثُه. وصدقًا، لقد فهمت هذه المادَّةَ، وشغفت بها، ولاَ أَظُنُّني إلاَّ قد حُزْتُ فيها الدَّرجة الكبرى في ذلك العام، ولقد كان درسه المشوِّقُ يحفِّزني للمزيد مِنَ البحث عند الرُّجوع إلى المنزل. ولاَ يفوتني وأَنا أُسَجِّلُ هذه الذِّكرى الجميلةَ مع شيخيَ الفاضل المرحوم، أنني كنت مِنَ الطُّلَّاب النَّوَابِغِ في هذا المعهد على دفعتي؛ فقد تحصَّلت على التَّرتيب الأَوَّلِ في هذا المعهد بالشَّهادة الثَّانويَّةِ أَيَّام إدارة الشَّيخ (محمد جبعور - رحمه الله تعالى-)، وفزت كذلك على مستوى ليبيا في قِصَّةٍ قصيرةٍ كانت بإشراف (أ. رزق المصري)، وللأَسف لم أَعد أَتذكَّرُ لقبه بعد أَن بلغتُ في هذه اللحظات 59 عامًا؛ نَسأَلُ الله أَن تسجَّل في رضا الله تعالى. وفي العام الدِّراسيِّ 1983-1984، كنت قد أَجريتُ عمليَّةً بمستشفى أَبوشعالة على الزَّائِدة: (المصران الزَّائِد)؛ وغبتُ عن الدِّراسة أُسبوعًا تقريبًا، ثمَّ عدت، وقد كنت أَستأْذن مِنْ إدارة المعهد، ولم أَلبس البدلةَ العسكريَّةَ التي كانت مفروضةً آنذاك على الطُّلَّاب، وكنت أَمكث بالفصل أَثناء الطَّابور الصَّباحي، وكان الشَّيخ مختار، يسبق طلَّابه إلى الفصل؛ فوجدني بالفصل؛ فعرف بحدسه أَنَّني مريض؛ فبادرني بكلمته:(لاَ باس عليك)؛ فأَخبرته بالعمليَّة التي أُجريت لي، فاستحمد لي الله على السَّلَامة؛ فرددت: الله يسلمك،

وبارك الله فيك. وبهذا العام 1984، انتهى اللقاء مع الشَّيخ مختار في دروسه التَّوحيديَّة المشوّقة، ويكتب قدر الله أَن تكون دراستنا الجامعيَّةُ بقسم اللغة العربية، بكليةِ العلومِ الأَساسيةِ، التَّابعةِ لكلِّيَّة التَّربية، جامعة طرابلس، بمدينة مصراتة؛ وكان لنا شرف بداية تأْسيسها؛ لتكون فيما بعد النَّوَاةَ لجامعة مصراتة الحالية؛ ولحسن الحظِّ المكتوبِ عند الله -تعالى- أَن يعود اللقاءُ مع الشَّيخ مختار مجدَّدًا كأُستاذٍ جامعيٍّ لنا في هذا القسم؛ ليدرّسنا التَّوحيد مجدَّدًا بالكلِّيَّةِ، كجزءٍ مِنْ مقرَّرٍ سُمِّيَ (التَّربية القرآنيَّة)؛ وليكون الشَّيخ معنا بأُسلوبه الفَذِّ في التَّدريس كذلك؛ إلاَّ أَنَّه لم يدم أَكثر مِنْ فصلٍ دراسيٍّ واحد.

هذا ما يخصُّ ذكرياتي العلميَّة مع الشَّيخ مختار الزُّرقاني، أَمَّا ما يخصُّ السِّمَاتِ الشَّخصيَّةِ للشَّيخ مختار الزُّرقاني، فقد كانت تتمثَّلُ أَوَّل ما تتمثَّلُ في ذهني، في شخصيَّته المتواضعة جِدًّا جِدًّا؛ فقد كان هذا الشَّيخ يتمتَّع بالتَّواضع الجم، وبدوام الابتسامة؛ فلَا تكاد تفارقه أَبَدًا؛ ممَّا يعطي انطباعا مريحا للمقابل له بالطمأْنينة، والارتياح الكامل؛ ولم أُلاَحظه أَثناء دروسه يومًا في حالة غضب؛ أَو قَدَّم حتَّى عتابا لطالبٍ ما. لقد كان الشيخ -رحمه الله- دون مبالغة جَمَّ التَّواضع، طلق المحيَّا، صديقا لطلَّابه؛ حريصا على إفادتهم بما استطاع إليه سبيلَا، ولقد ظلَّت شخصيَّةُ هذا الشَّيخ -المبارك- عالقةً في ذهني مع مَنْ علق مِنْ شيوخنا وأَساتذتنا المميَّزين، ولقد كانت هناك لقاءَاتٌ عابرةٌ في المدينة أُسَلِّمُ عليه فيها بحرارةٍ تفيضُ بالودِّ والمحبة لله تعالى؛ لما قدَّم مِنْ تعليمٍ ناجحٍ، وصادقٍ، ومفيدٍ، ومُؤَثِّرٍ في الطُّلَّاب، وكذلك لحسن أَخلَاقه، وتواضعه الذي مَيَّزَ شخصيَّته؛ إضافة لتميُّزه العلميِّ والتَّربويِّ. هذا ما أَسعفتني به الذَّاكرةُ مع فضيلة شيخنا الأُستاذ الدُّكتور/ مختار الزُّرقاني -رحمه الله تعالى رحمة واسعة- موصولة بكافَّة أَساتذتنا الأَجلَّاءِ الذين قدَّموا لنا كلَّ ما بوسعهم مِنْ عِلْمٍ، وإخلَاصٍ في العطاء. وأَخيرا: نسأَلُ الله أَن يجعل ما قدَّم صدقةً جاريةً له [عِلْمًا يُنتفعُ به]، وأَن يجعلنا مِنْ بعده قومًا صالحين، وصلَّى الله، وسلَّم، على رسولنا مُحَمَّدٍ الكريم، وآله إلى يوم الدِّين، وآخر دعوانا: أَن الحمد لله ربِّ العالمين(3)

5- تقولُ الدُّكتورة الفاضلة : خيريَّة عمر التَّائِب (في المفتِّش التَّربوي: الشَّيخ مختار الزُّرقاني): منهج الشَّيخ مختار الزُّرقاني في التَّوجيه يرتكز منهج الشَّيخ مختار الزُّرقاني في توجيهه للمعلِّم بمجموعةٍ مِنَ الخصائِص، والميزات، يمكن اختصارها في الآتي:

أَوَّلاً- الخبرةُ، والمعرفةُ العلميَّـــة: يلمس المعلِّمُ سعةَ أُفُقِ الشَّيخ، ومقدرَتَه المعرفيَّة الأكاديميَّة والتَّربويَّة، مِنْ خلَال المُحاورة، سواء داخل الفصل، أَو أثناءَ المحاورة خارج الفصل، فيجد المعلِّم نفسه أَمام قامة علميَّة، وهرمٍ معرفيٍّ، غير معلنٍ عن نفسه، بل؛ يجده في عباراتِ التَّوجيه والتَّرشيد، والإجابةِ عن استفسارات المعلِّم العلميَّة والتَّربويَّة.

ثانيا- مهارة التَّواصل:

1- يقابل المعلِّمَ، والتَّلَاميذ، بابتسامةٍ مفعمةٍ بالأَدب والوقار.

2- يبني الشَّيخُ أَوَّلاً جسرًا مِنَ التَّواصل مع المعلِّم والتَّلَاميذ، وذلك بأَن يسأَل المعلِّمَ عن حال التَّلَاميذ، وأَوضاعهم الدِّراسيَّة بوجهٍ عامٍّ قبل الشُّروع في العمليَّة التَّوجيهيَّة، كما يطلب مِنَ التِّلميذ تقديم اسمه قبل الإجابة.

3- يترك مساحةً واسعةً للمعلِّم للشَّرح والتَّوضيح دون مقاطعة مباشِرة، كما يمنح مساحة للطَّالب للاستفسار.

4- يتواصل مع المعلِّم بصفته [بوصفه] زميلًا ومحاورًا، فلَا يُشْعِرُ المعلِّمَ بأَنَّه مُقَيَّمٌ، ولاَ يستخدم عباراتِ ونبراتِ التَّوجيه المباشِر.

ثالثًا- التَّحفيز والدَّعم: تقوم العمليَّة التَّوجيهيَّة عند الشَّيخ الزُّرقاني على مبدإِ التَّحفيز والدَّعم، ويتَّضح مِنْ خلَال توجيهه أَنَّها هدفٌ رئِيسٌ مِنْ أَهدافه، يتَّضح لك في الآتي:

1- يستخدم أُسلوب المرونة في العمليَّة التَّوجيهيَّة.

2- يستخدم أُسلوب احترام الآخر، فلَا يُشعر المعلِّمَ بقصورٍ في أَدائِه، ويقوم بتصويبِ الخطإِ، وتوجيهِ الأَداءِ، بصورة الرَّأْي، كأَن يقول: (ربَّما يكون...)، ثمَّ يقدِّم الإجابة التي يراها مناسبة، أَو (هناك مَنْ يرى)، أَو (نَعم صحيح، ولكن؛ جرّب هذه الطَّريق، ربَّما نجحت في تنبيه الطَّالب).

3- لاَ يُشْعِرُ التَّلَاميذ بعدم صواب الإجابة، ويحفِّزهم على اختيار إِجابةٍ بديلةٍ عن السَّابقة.

رابعًا- التَّقييم والإرشاد:

1- عند دخوله الحصَّة يتناول مباشرةً الموضوعَ المطروحَ للدَّرس، ويحوّله إِلى موضوعٍ عامٍّ يقيس مِنْ خلَاله فهم التَّلَاميذ لجميع أَبواب المقرَّر، ولاَ يُلغي أَيَّ إِجراءٍ، أَو تخطيطٍ، قام به المعلِّم، ولو كان اختبارًا.

2- يستخدم منهج التَّفويض، فللمعلِّم التَّفويضُ والحرّيَّةُ في اختيار التَّلَاميذ للإجابة، وكذلك للتَّلَاميذ الحرّيَّةُ في التَّقدُّم للإجابة، فلَا يتقصَّدُ طالبًا بعينه، وإنما يطرح السُّؤَال على عموم الطَّلبة، ويفوّضُ المعلِّمَ لاختيار التَّلَاميذ الرَّاغبين في الإجابة.
3- يستخدم منهج التَّعَلُّمِ بالمشاركة، فيطلب مِنَ التَّلَاميذ مساعدة زميلهم في الإجابة.
4- لاَ يسجِّل الملَاحظات ذات الصِّبغة السَّلبيَّة في كرَّاس تحضير المعلِّم.
5- يستخدم أُسلوب التَّوَسُّعِ المُبَسَّطِ في توضيح المسائِل الدِّينِيَّة، والمُوجَزِ الواضحِ، فلَا يقف عند تقديم معلوماتٍ تقتصر عمَّا هو موجودٌ في الكتاب المدرسيّ.

وقد كانت الدُّكتورة المفضالة استهلَّت إفادتها بالآتي:

السَّلَام عليكم دكتور حاتم: هذا ما تمكَّنَتِ الذَّاكرةُ مِنِ استحضاره عن منهج الشَّيخ -رحمه الله- لكنَّ الشَّيخ -رحمه الله- أَكبرُ بكثيرٍ مِنْ أَن تُكتب فيه هذه الكلمات، وهو سببٌ مِنَ الأَسباب التي جعلتني أَتردَّدُ في الكتابة؛ لأَنَّ ما أَملكه قليلٌ جدًّا في بحرٍ مِنَ العطاءِ(4)

6- يقولُ الأُستاذ الفاضل: مختار محمَّد الدَّنفور (تلميذُ الشَّيخ مختار الزُّرقاني):

لقـــاءٌ وحـــديث. في يوم الإثنين الموافق 20-05-2024، عندما كنتُ أَستعدُّ لمغادرة كلِّيَّة التَّربية بجامعة مصراتة، تقابلتُ بالدُّكتور: حاتم الزُّرقاني: عضو هيئَة التَّدريس بكلِّيَّة التَّربية، وتبادلنا التَّحايا، وقلتُ له: ذكَّرتني بالشَّيخ، قال: من تقصد؟ قلتُ: أَقصدُ والدك المرحوم: مختار الزُّرقاني، فقال لي: ماذا تعرفُ عنه؟ فقلتُ له: إنَّه أُستاذي أَثناءَ دراستي الجامعيَّة بقسم اللغة العربيَّة بكلِّيَّة العلوم الأَساسيَّة -إحدى كلِّيَّات جامعة الفاتح [سابقًا]، وإنَّه درَّسني في مقرَّر (عِلْمِ الفرائِض)، والذي كنَّا نَدرسه حينها تحت مُسَمَّى (الدِّراسات الإسلَاميَّة "7")، وإنَّه كان يتَّصفُ بسعة الصَّدر، وحُبِّه لطلَّابه، حيث إنَّه كان دائِمًا يقابلنا بالتِّرحابِ، وبشاشةِ الوجه، وكان في تدريسه يمتازُ بحُسْنِ تمهيده للدُّروس، مع جودة عَرْضٍ لعناصر الدَّرس، مع الدِّقَّة في الشَّرح والتَّوضيح، بالإضافة إلى أَنَّه لاَ يكتفي بما ذكره المالكيَّةُ مِنْ آراءَ، وإنَّما يتعرَّضُ لآراءِ المذاهب الأُخرى في المسائِل التي فيها اختلَاف، وكنَّا نُصْغِي إليه عند شرحه للدُّروس، ونحاوره، ونحرصُ على حضور محاضراته؛ للتَّزوُّد مِنْ علمه.

وعلَاقتنا معه لم تنته بانتهاءِ الدِّراسة، إذ كنَّا نتعاملُ معه، ونُسعد بلقائِه، ونتبادلُ معه أَطراف الحديث، ونستمع لنصحه، وتوجيهه، جزاه الله عنَّا خيرًا، رحمه الله، وغفر له، وأَسكنه فسيح جنَّاته.

وبعدما اكتمل الحديثُ مع الدُّكتور حاتم -بجانب قسم الدِّراسة والامتحانات، وبالقرب مِنْ قاعات المحاضرات- وأَردتُ توديعه؛ لمغادرة الكلِّيَّة، طلب منِّي كتابةَ ما ذكرته له أَثناءَ اللقاءِ، فوافقتُ، وها أَنا أَكتب ما ذكرته أَثناءَ اللقاءِ(6)، انتهى كلَامه.

الرِّجال مواقف : وبعد نهاية إِفادات هذا البحث، أُحبُّ أَن أَختم بموقف لشيخنا، يشتعل محبَّةً، وفطنة، وبذلاً، وعفَّة: ففي يومٍ مِنَ الأَيَّام اجتمع مجموعةٌ مِنَ الأَشخاص يتبادلون الحديث فيما بينهم، ثمَّ انصرفوا إِلى شؤُونهم، إِلاَّ أَنَّ شيخنا أَدرك بفطنته أَنَّ أَحد الحاضرين المتعفِّفين يمرُّ بمرحلةٍ صعبةٍ منعته عفَّته عن الإِفصاح عنها، ذهب إِليه، وأَخذه جانبًا، وسأَله عن سبب مسحة الحزن التي تعلو وجهه؟! فأَخبره أَنَّ دَيْنًا عليه، أَثقل كاهله، وشغل تفكيره! فقال له شيخنا: ما مقداره؟ فأَخبره، وكان -فيما أَذكر- خمسة آلاَف دينار (5000)، فقال له: انتظر قليلًا، فذهب إِلى سيَّارته، وأَتى له بالمبلغ كاملًا، فقد شاءَ الله أَنْ يكون هذا المبلغ في السَّيَّارة حينها! أَتى له بالمبلغ، وسلَّمه إِيَّاه؛ ليفكَّ ضيقته، وليس عليه أَنْ يردَّه بعد ذلك. فكان بعد ذلك يقول لأَبنائِه -بعد أَن أَخبرهم بالموقف-: إِنَّه ليس عليه دَيْنٌ أَبدًا(7)

المطلب الثَّاني ـ منهجه في رسالة الماجستير (أَبوبكر بن العربي المحدِّث)(8)

أَوَّلاً- مكانُ الحصول عليها، وصفةُ الباحث، وسنةُ الحصول عليها: تحصَّل الباحث على درجة الماجستير-كما هو مُدَوَّنٌ على الرِّسالة- مِنْ جامعةِ الأَزهر، كلِّيَّةِ أُصول الدِّين، حيثُ كان مُعيدًا بكلِّيَّة اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإِسلَاميَّة، بجامعة ليبيا، وأَزيد: والتي كان مسمَّاها: الجامعة الإِسلَاميَّةُ سابقًا، وذلك عام 1394هـ/1974.

ثانيًا- افتتاحيَّةُ الرِّسالة. افتتح الباحث رسالته، بما افْتُتِحَ به القرآن الكريم (بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ)، ثُمَّ بالحمدلة، والثَّناءِ على الله -عَزَّ وَجَلَّ- ثُمَّ عقَّب بذكر آخر الرِّسالاَت، وأَنَّ الله صانها مِنَ التَّبديل والتَّغيير، ثُمَّ ثنَّى بذكر فضل الأَئِمَّة، والنُّقَّاد، المدقِّقين، والمتبصِّرين، في ضبط آثار نبيِّهم، وذلك باستيعاب متونها، وأَسانيدها، حفظًا، وتدوينًا. ثُمَّ أَتى على ذِكْرِ الشَّهادتين، مُثْنِيًا على الله ورسوله، واصفًا الآل بأَنَّهم: ناقلوا أَخباره، ومدوِّنوا آثاره، أُولو العزم والتَّشمير، وهو هنا يذكر الآل بالمعنى الأَوسع لتفسيرها، ثمَّ أَنْهَى مقدِّمةَ المقدِّمة بالدُّعاء، طالبًا مِنَ الله فضل الصَّلَاة، والسَّلَام، على الرَّسول، والآل. وانتقل بعدها إِلى الجزءِ الثَّاني منها، قائِلًا: وبعد، وفيه ذِكْرٌ لفضل علماءِ الشَّريعة عامَّةً، وعلماءِ السُّنَّة خاصَّةً. ثمَّ أَردف ذلك بذكرٍ عامٍّ لنشأَته العلميَّة، والجامعة التي تحصَّل منها على درجة (الليسانس)، وتحصُّله على

درجة "مُعيد"، وَتَغَيُّرِ اسم الجامعةِ لاَحقًا، وكذا مكانُ دراسة الماجستير، ونجاحُه في السَّنة الأُولى، وانطلَاقه للسَّنة التي تليها.

ثالثًا- سبب اختياره لعنوان الرِّسالة. يقول الباحث: "ولمَّا كانت خُطاي قد كُلِّلت بالنَّجاح في (السَّنة الأُولى) للماجستير، بقسم الحديث -بدأْتُ أَبحثُ وأُنقِّبُ عن موضوع البحث المطلوبِ تقديمه في (السَّنة الثَّانية)- وقد كانت هذه الفترةُ بالنِّسبة لي، فترةَ قلقٍ وحيرة، غير أَنَّه مِنْ خلَال قراءَتي، وتتبُّعي لبعض الكتب التي تناولت الحضارةَ الإسلَاميَّة، والنَّهضةَ العلميَّةَ بالأَندلس، وبعد البحث والتَّنقيب عن أَنواع هذه العلوم التي تناولتها تلك الكتب، تبيَّن لي أَنَّ بالأَندلس عددًا كبيرًا مِنَ المحدِّثين، والمهتمِّين بشُؤُون السُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفة، كان مِنْ أَبرزهم: الحافظ الكبير (أَبوبكر بنُ العربي)، هذا ولمَّا كانت الدِّراسات الحديثيَّة عن رجال الأَندلس قليلة، على ما يبدو لي، فقد عزمت على عرض نموذجٍ لعلماءِ الأَندلس، وجعلت (ابنَ العربيّ المحدِّث)، موضوع رسالتي لهذا العام: 1393-1394 هـ / 1973-1974، والله الموفِّقُ، وبه الاستعانةُ، ولاَ حول، ولاَ قوَّةَ، إلاَّ به" أ.هـ

رابعًـــا- أَنهى الباحثُ المقدِّمة بذكر الفصولِ الثَّمانيةِ، والمباحثِ الأَربعةِ للفصلِ الأَوَّل، مع كلمة ثناءٍ آخر ذلك، حيث جاءَ فيها:

الفصل الأَوَّل : "تكلَّمت فيه عن الأَحوال السِّياسيَّةِ، والعلميَّةِ، في عصر (ابنِ العربيّ) بالأَندلس، وقد اقتضى منِّي ذلك أَنْ أُقسِّم هذا الفصل، إلى أَربعة مباحث، الفصل الثَّاني: تكلَّمت فيه عن أُسرتِه، ونشأَتِه الأُولى، وبدايةِ طلبه للعلم، ثمَّ بيَّنتُ مذهبه الفقهيَّ، والعقائِديَّ ، والفصل الثَّالث: تناولت فيه رحلته إلى المشرق، وبيَّنتُ أَهمَّ البلدان التي روى بها الحديثَ، والعلومَ المختلفة، وما نقله مِنْ أَوصاف لِمَا شاهده في بعض هذه البلدان، كما أَنَّني تحدَّثتُ عمَّا اعترضه في طريقه مِنَ المخاطر، وكيف ظهر نبوغه المبكِّر في بعض المواقف ، والفصل الرَّابع: ذكرتُ فيه عددًا كبيرًا مِنْ شيوخه، الذين التقى بهم في رحلته، وترجمتُ لعددٍ مِنَ المبرَّزين منهم، ثمَّ بيَّنتُ ما كان لهؤُلاءِ العلماءِ مِنْ أَثرٍ على ثقافته ، والفصل الخامس: تكلَّمتُ على جهود (ابنِ العربيّ) في الحديث، وقسَّمتُ ذلك إلى قسمين:

عنايته بعلم الحديث دراية. وعنايته بعلم الحديث رواية.

ثمَّ نقلتُ بعض النُّصوص مِنْ كتبه الحديثيَّة؛ لتوضيح تفوُّقه في الدِّرايةِ، والشَّرح.

الفصل السَّادس: تكلَّمتُ فيه عن حديث "الغرانيق"، بين "ابنِ حجر"، "وابنِ العربيّ"، وبيَّنتُ أَنَّ الطَّريق التي ذكر "ابنُ حجر" وصلها، وهي أَقوى طُرُقِ هذه القصَّة،

ضعيفةٌ: لم يثبُت وصلها مِنْ وجهٍ يُعتمدُ به ، ثمَّ نقلتُ كلَام "الحافظ ابنِ حجر"، فيما يتعلَّقُ بهذه القصَّة، مِنْ كتابه (الفتـــح)، وبيَّنتُ ضعف ما اعتمد عليه، في إبطال ما قاله "ابنُ العربيِّ"، فيما يتعلَّقُ بروايات "الطَّبري"، وما ذكره "عياض"، في شأْن هذا الحديث ، وختم هذا الفصل، بنقل ما ذكره ابنُ العربيِّ مِنْ أَدلَّةٍ واضحةٍ، لإبطال هذه القصَّة ، والفصل السَّابع : وبعد أَنْ وصل "ابنُ العربيِّ" إلى ما وصل إليه مِنَ العلم والمعرفة، حتَّى قيل: إنَّه بلغ درجة الاجتهاد، فلَابدَّ أَنْ تكون له آثارٌ عظيمةٌ في شتَّى المجالاَت، غير أَنَّني لمَّا كنت بصدد إظهار شخصيَّته الحديثيَّة، فقد عقدت هذا الفصل لبيان أَثره في مجالين اثنين، هما:

مجالُ التَّأْليف. ومجالُ التَّلمذة . أَمَّا في مجال التَّأْليف، فقد عرَّفتُ ببعض كتبه التي تمكَّنتُ مِنَ الحصول عليها، وما لم أَتمكَّن مِنَ الحصول عليه منها، فقد عزوته إلى المصدر الذي ذكره وفي مجال التَّلمذة : ترجمتُ لعددٍ مِنْ تلَامذته، وخاصَّةً مَنْ بَرَعَ منهم في الحديث. ثمَّ ذكرتُ منهم أَعدادًا أُخرى على سبيل المثال، لاَ على سبيل الحصر؛ لأَنَّهم مِنَ الكثرة بحيثُ لاَ يتَّسعُ هذا البحثُ لذكرهم. والفصل الثَّامن : في هذا الفصل تكلَّمتُ عن مكانته العلميَّة، وبيانِ أَقوال العلماءِ فيه، ثمَّ بيَّنتُ أَثر هذه المكانةِ في تولِّيه أَمر المشاور، والقضاء، وكيف كان حكمه، وسبب عزله مِنْ أَمر القضاءِ. وفي الخاتمة: أَوجزتُ بعض ما جاءَ في هذا البحث، ممَّا يُلقي الضَّوءَ على استكمال شخصيَّة "ابنِ العربيِّ"، الحديثيَّة. وفي ختام المقدِّمة، يقول الباحث بعد أَن أَمضى وقتًا في القراءَة، وتجهيز الخطَّة، وبعد أَنِ انتهى منها، مُثنيًا على مَنْ كان له فضلٌ في إيصالها إلى الصُّورة التي هي عليها الآن، قائِلًا:

خامسًا- كلمـــــــةُ ثنـــــــاء : بعد أَن انتهيتُ مِنْ إعداد خطَّة هذا البحث، كنتُ قد تقدَّمتُ بها إلى فضيلة أُستاذي الدُّكتور: " مصطفى ..." لمراجعتها، فتفضَّل مشكورًا بقراءَتها، وأَبدى عليها العديد مِنْ ملَاحظاته القيِّمة، تلك الملَاحظاتُ التي أَخذتها بعين الاعتبار في إعادة تنسيقي لهذه الخطَّة، فجزاه الله عنِّي، وعن العلم، خير الجزاء" أ.هـ

وفي هذا ما فيه مِنْ أَدبٍ تحلَّى به الباحث مع أَساتذته، ومن قام بإعانته في هذه الرِّسالة، فرحمه الله، وغفر له، وأَكرمه برفقة الرَّسول - صلَّى الله عليه وآله وسلَّم-.

سادسًا- منهجه في تقسيم الرِّسالة : قسَّم الباحثُ الرِّسالة على وفق ما اقتضته المادَّة العلميَّة، حيثُ جعل للفصل الأَوَّل، أَربعة مباحث، بخلَاف الفصول الأُخرى، التي لم يذكر لها نفس التَّقسيماتٍ، إنَّما قسَّمها إلى عناوين جانبيَّة، بترتيب متناسق، متسلسل، ممَّا ساعده على استيعاب كافَّة مفردات الرِّسالة.

سابعًا- منهجه في التَّرجيـــح : انتهج الباحث منهج التَّرجيح، ونُصرة القول القويّ، كما ظهر ذلك جليًّا في الفصل السَّادس، في قصَّة الغرانيق، التي كانت بين "ابنِ العربيّ"، وابن حجر، التي توصَّل فيها إلى ترجيح ما ذهب إليه "ابنُ العربيّ"، مِنْ بطلَان هذه القصَّة، وضعف ما ذهب إليه "ابنُ حجر"، مِنْ إبطال قول "ابن العربيّ".

ثامنًا- منهجه مع الهوامش : سار الباحث عند توثيق المعلومة في الهامش على الآتي:

1- إثبات اسم الكتاب، مع ذكر الجزءِ "ج"، والصَّفحة "ص" (ومن ثَمَّ، كتابة معلومات الكتاب كاملة في فهرس مراجع الرِّسالة)، وقد ذكر المحقِّقَ في أَربعة مواضع: 71، 110، 130، 131، وذكر الطَّبعة في موضعٍ آخر: 117، وذكر المؤَلِّف أَكثر مِنْ أَربعة مواضع: معجم البلدان لياقوت الحموي 28، عارضة الأَحوذي95، قواعد التَّحديث للقاسمي 118، فهرست الفهارس للإدريسي 146، وينظر: 73، 79، 82-84، 86،88.

2- عند النَّقل بتصرُّف، يُبيِّن ذلك بكلمة (بتصرُّف)، وذلك في أَربعةٍ وعشرين موضعًا (ص 12-14-موضعان في 15-18-19-20-موضعان في 22-24-26-موضعان في27-29-31-موضعان في32-34-45-67-68-112-113-114).

3- عند اختصاره للمطوَّل متصرّفًا –أَيضًا- ، يُثبتُ ذلك بقوله: (باختصارٍ، وتصرُف)، ص8-11-12-16-17-32-35-67-67-192، (أَو الضِّد) 9-14-27، (أَو مختصرًا) 34-44، أَو (باختصار) 127.

4- تخريج الآيات القرآنيَّة: وذلك في عشر مواضع (موضعان في57-100-موضعان في111-112-121-122-123-124).

5- تخريج الأَحاديث النَّبويَّة، وذكر "فتح الباري": وذلك في سبعةَ عَشَرَ موضعًا (موضعان في 94- موضعان في95- موضعان في97-98-107-108- موضعان في109- موضعان في110- موضعان في116-124-125).

6- بيان معاني الكلمات: وذلك في عشرينَ موضعًا (21-22-23-ستَّة مواضع في60-61-ثلَاثة مواضع في 62-موضعان في66-78-موضعان في104، وكذا في105-149).

7- بيانُ ما أُجمل في المتن: وذلك في موضعين، ص150.

8- مكانُ، وضبطُ البلدان: وذلك في عشرةِ مواضع (27-موضعان في 28-53-موضعان في63-75-80-103-132).

9- ضبطُ الأَلقاب: وذلك في ستَّةِ مواضع (50-51-53-80-81-127)، والأَفراد: (86-87).
10- ذكر فيه معنى العارضة، والأَحوذي، مع كيفيَّة الضَّبط: 93-144.
11- عند إعادة المصدر مباشرةً يقول: (المصدر السَّابق)، وذلك في ثمانيةِ مواضع (9-14-67-75-113-114-117-120).
12- النَّقلُ عن المخطوطات: وذلك في ثلَاثة مواضع (39 بعض المخطوطات المحفوظة بالرِّباط، 70-146- 170-149).
13- ترجم المؤَلِّف للأَعلَام في مواضع عدَّة في متن الرِّسالة، وأَحال على مصادر التَّرجمة في الهامش، وينظر: الفصل الرَّابع مِنَ الرِّسالة.
14- ذكر اسم نظير ابن العربيِّ ممَّن انتهت إليهما الرِّئَاسة في مذهب مالكٍ، في وقتهما، في الأَندلس.
15- ذِكْرُ مؤَلَّف "ابنِ العربيِّ" كاملًا في الهامش، عند وروده عامًّا في المتن؛ لتوضيحه، وذلك في موضعين: 67-64.
16- ذِكْرُ نقل "المقَّري"، ومحمَّد مخلوف، عن "ابن العربيِّ"، من كتابه (قانون التَّأْويل) ص60.
17- علمُ ابن العربيِّ" أَكبر مِنْ سنِّه: تعليقٌ على تواضعه، في المتن، ص62.
18- ما ورد في الرِّسالة مِنْ شعر: 22 بيتان، فيهما معنًى لكلمة، 61 بيتٌ للمتنبِّي، مع ذكر مكان وروده، وبيت آخر.
19- ذِكْرُ المصادر التي ورد فيها مؤَلَّفات "ابنِ العربيِّ"، التي جاءَتْ في متن الرِّسالة، والتي بلغت ثمانيةَ عَشَرَ مُؤَلَّفًا.
20- وردت كلمة: ينظر، مرَّةً واحدةً في الرِّسالة، ص113.
21- سقط رقم الصَّفحة، في ص89.
22- تكملة السَّند، وبيان اسم الرَّاوي المذكور في متن الرِّسالة، وورع "عمرو بن العاص" رضي الله عنه، ص105.
23- بعض ما ورد في هوامش الرِّسالة مِنْ مصطلحاتٍ أُخرى:
أ- نقلًا عن كتاب: ذكر ذلك في ص10-79.
ب- مِنْ كتاب: ذكر ذلك في ص38-69-96-101-113-114.
ج- نقلًا عن (دولة الإِسلَام بالأَندلس).

24- وصف الباحث للمشرق بأَنَّه: مطمحُ الأَنفُس، ومسرحُ التَّأَنُّس (في حقِّ ابن العربيِّ -هنا ربَّما).
25- ذِكْرُ الكتاب في المتن، وعدم تكراره في الهامش، ص137.
26- ذِكْرُ ما لم يَعثر عليه الباحث مِنْ الكتب: ص92.
27- مصدره عمَّن وصفه في الفهرس (بالأُستاذ الجليل): محمَّد ناصرالدِّين الأَلباني (112-113-114، 119)، وذلك في سبعة مواضع (النَّصب للأَلباني: بتصرُّف، مِنْ كتاب النَّصب: بتصرُّف، المصدر السَّابق، النَّصب للأَلباني، مِنْ كتاب النَّصب للأَلباني: بتصرُّف، المصدر السَّابق، كتاب النَّصب).

تاسعًا- عددُ صفحات الرِّسالة.

بلغ عددُ صفحاتها: ثمانٍ وستِّين ومائَة صفحة (168)، بما في ذلك المقدِّمة، والفهارس.

عاشرًا- خاتمـــــــة الرِّســـــــالة ، قال فيها "الآن وقد أَتيتُ على نهاية هذا البحث، أَعتقدُ أَنَّني قد رسمتُ صورةً واضحةً (لابن العربيِّ، المحدِّث)، وفتحتُ الباب أَمام الباحثينَ؛ لتكبير هذه الصُّورة، وإِلقاءِ الضَّوءِ عليها؛ لكي تُصبح أَشدَّ وضوحًا، وأَكثر إِشراقًا، وأَكمل اتِّساقًا؛ لأَنَّ استكمال هذه الصُّورةَ، وإِبرازها في قالب الكمال، يحتاج إِلى سنين، لاَ إِلى شهور. كما أَنَّني أَعتقد أَنَّني أَبرزتُ جهوده في الحديثِ وعلومِهِ، بِمَا يُوضِّح للقارئِ أَنَّ (ابنَ العربيَّ) كان مِنْ جهابذةِ الحفَّاظ، ومن المتبحِّرين في علوم السُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ. وقد كان للجهود التي قام بها (ابنُ العربيِّ) في شتَّى مجالاَت السُّنَّةِ النَّبويَّةِ الشَّريفةِ ، أَعظم الأَثر في نفوس العلماءِ، والمتعلِّمين، على السَّواءِ، وقدَّروها حقَّ قدرها، فانتشرت مؤَلَّفاته بين النَّاس في حياته، وانتفعوا بها بعد وفاته. وقد أَشرتُ إِلى كثيرٍ مِنْ نتائِج هذه الجهود، والدِّراسات ، وأَعوذ الآن لأُجْمل بعضها؛ حتَّى تكون أَمام القارئِ واضحةً جليَّةً" أ.هـ . ثمَّ انتقل يُعدِّد تلك النَّتائِج مجملةً، في تسع نقاط، أَذكر ما يتعلَّق بالحديث منها، وهي كالآتي:

"1- أَنَّ الرَّجل كان شديد العناية بالتَّخريجِ، وعزوِ الأَحاديث إِلى مصادرها الأَصيلة، ولهذا استطاع أَنْ يُعطيَنا بين دفَّتي كتابيه "أَحكام القرآن"، و "عارضة الأَحوذي"، تراثًا علميًّا ضخمًا، وثروةً حديثيَّةً طائِلة، ولقد رأَيناه في تخريج الأَحاديث مِنْ خلاَل هذين الكتابين -كالملَّاح الماهر، يغوص في محيط المصنَّفات الحديثيَّة، ويستخلص منها ما بدا له مِنَ الجواهر الثَّمينة، والدُّررِ النَّفيسة- وقد كان -رضي الله عنه، بما وهبه

الله مِنْ مقدرةٍ فائِقةٍ، وذكاءٍ مُفرطٍ، وبما اكتسب مِنْ ثقافةٍ حديثيَّةٍ واسعة- يرتاد هذا المجال عن تمكُّنٍ واقتدار.

2- أَنَّه تمكَّن مِنْ تصحيح الكثير مِنَ الأَوهامِ، والأَخطاءِ التي وقع فيها عددٌ مِنَ الرُّواةِ، والمؤَرّخين.

3- أَنَّه كان ممَّن يُحبُّون السُّنَّة، ويدافعون عنها، يقول (ابنُ العربيّ)، عندما عزم على تأْليف كتابه "عارضة الأَحوذي، في شرح صحيح التِّرمذي": ولعلَّ الله أَنْ يُحقِّق النِّيَّة، في أَنْ يجعلنا ممَّن قال فيه المصطفى: "يحملُ هذا العلمَ مِنْ كلِّ خلفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عنه تحريفَ الغالين، وانتحالَ المُبْطِلِينَ، ودعوى الجاهلين" أ.هـ

ثمَّ ختم الخاتمة، بنسبة التَّوفيق لله، والتَّقصير لنفسه، والاعتذار لها، وتحميلِ لجنة المناقشة عِبْء كشف ما وقع في الرِّسالة مِنْ زَلَلٍ، ودعا الله أَنْ يكون عمله خالصًا لوجه الله الكريم، وأَنْ يكتب له التَّوفيق فيما يتلوه مِنْ أَبحاث في السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، ثمَّ أَردف ذلك بقوله: ربَّنا اغفر لنا، ولإِخواننا الذين سبقونا بالتَّأْليفِ، والتَّصنيفِ، ولاَ تجعل في قلوبنا غلًّا للذين أَلَّفوا مِنْ قبل، أَو يُؤَلِّفون مِنْ بعد، واحشرنا في زُمرة خُدَّامِ السُّنَّة النَّبويَّة الشَّريفة، وناشريها، ربَّنا إِنَّك سميعٌ، مُجيبُ الدُّعاء، وصلَّى الله على سيِّدنا محمَّدٍ، النَّبيِّ الأُمِّيِّ، وعلى آله، وصحبه، وسلَّم.

الحاديَ عشرَ- العناويـــــــنُ الرَّئِيسيَّةُ للرِّســـــــالة.

1- الفصل الأَوَّل- الأَحوالُ السِّياسيَّة والعلميَّة، في عصر (ابنِ العربيّ) في الأَندلس.

المبحثُ الأَوَّل- الأَحوالُ السِّياسيَّة في عصر (المعتمد بنِ عُباد).

المبحثُ الثَّاني- الأَحوالُ العلميَّةُ في عصر (المُعتمد) بالأَندلس.

المبحثُ الثَّالث- الأَحوالُ السِّياسيَّةُ في العصر المُرابطي بالأَندلس.

المبحثُ الرَّابع- الحالةُ العلميَّةُ في عصر المرابطين بالأندلس.

2- الفصل الثَّاني- أُسرةُ ابن العربيّ، ونشأَته الأُولى.

3- الفصل الثَّالث- رحلته (ابنُ العربيّ) إلى المشرق، مع والده (عبدالله).

4- الفصل الرَّابع- أَشهرُ شيوخ (ابنِ العربيّ)، في المشرق، والمغرب، وتراجمِهِم.

5- الفصل الخامس- عنايةُ (ابنُ العربيّ) بالحديث: درايةً، ورُوايةً.

6- الفصل السَّادس- قصَّةُ الغرانيق، بين (ابنِ العربيّ)، و (ابنِ حَجَرَ).

7- الفصل السَّابع- آثارُ (ابنُ العربيّ) في مجالَيْ: التَّأْليفِ، والتَّلمذة.

8- الفصل الثَّامن- مكانةُ (ابنُ العربيّ) العلميَّةُ، وأَهمُّ الأَعمال التي تولاَّها.

الثَّانيَ عشرَ- مراجـــــــع الرِّســـــــالة: تعدَّدت مراجع الرِّسالة، حتَّى وصلت

إلى: واحدٍ وخمسين مرجعًا (51)، ابتدأَها بالقرآن الكريم -وثنَّى بكتب السُّنَّة، وشروحها، وعلوم الحديث، والمصطلح، وكتب الرّجال، ومدرسةِ الحديث في الأَندلس، وتفسيرِ القرآن، والتَّاريخ، والتَّراجم، ودواوينِ الشِّعر، ونوَّع بين المخطوطِ، والمطبوع- وختمها بمرجع (مدرسة الحديث في الأَندلس: رسالةٌ لنيل الدُّكتوراه، للأُستاذ: صالح أَحمد رضا، إشراف: فضيلة الدُّكتور: شاكر محمود، 1970، وغير ذلك مِنَ المراجع.

ومن مؤَلَّفات (ابن العربيّ) التي ذُكرت في قائِمة المراجع:

أ- عارضةُ الأَحوذي ، بشرح صحيح التِّرمذي، ط: دار الزَّهراء -بيروت- لبنان.

ب- العواصم مِنَ القواصم، في تحقيق مواقف الصَّحابة، تح: محبِّ الدِّين الخطيب، المطبعةُ السَّلفيَّةُ، ومكتبتها، ط3: 1387هـ.

ج- أَحكامُ القرآن، تح: علي محمَّد البجاوى، ط: عيسى البابي الحلبي، وشركاه، ط:2، 1387هـ/ 1967.

د- القبس، على موطَّإِ الإمام (مالك بنِ أَنس)، مخطوط، بجامعة الدُّول العربيَّة.

ملحوظة: لم يَسِرِ الباحثُ في ترتيب المراجع على طريقة التَّرتيب الأَلفبائِي، ولعلَّه انتهج ترتيب أَهمِّيَّة المرجع، وتلك طريقةٌ أُحبُّ (أَنا) تقديمها على غيرها، حتَّى في الهوامش.

الخاتمـــــــــة:

فقد توصَّلتُ مِنْ خلَال البحث إِلى الآتي:

1- اتَّفق القاصي، والدَّاني، ممَّن كتب هنا، أَو سمعتُ، على أَنَّ شيخنا يتَّسم بالأَخلَاق العالية، والتي اشتُهر بها، في الوسط العلمي، والاجتماعي، حتَّى إِنَّ مَنْ يأْتي على سيرته، بعد أَنْ يُثبت له الرُّسوخ في العلم، وتفوُّقه فيه، يتحوَّل سريعًا إِلى تلك الشَّخصيَّة التي مُلِئَتْ خُلُقًا طيِّبًا، وبشاشةً في الوجه ظاهرة.

2- يُعتبر الشَّيخ مُسْهِمًا، ومسؤُولاً، ومؤَسِّسًا، لـمراحل التَّعليم الـمختلفةِ في مصراتة، كمعهد إِعداد الـمعلِّمين، الذي صار كلِّيَّةَ المعلِّمين، ثمَّ التَّربيةِ بعد ذلك، التي تعتبر أَكبرَ كلِّيَّةٍ في جامعة مصراتة.

3- كان الشَّيخُ "مختار"، الليبيّ الوحيد في بداية تكوُّن المعهد العالي للمعلِّمين، الذي يحمل مؤَهَّلًا عاليًا، وكان بقيَّةُ الأَساتذة -على خبرتهم، وإِخلَاصهم، وقدرتهم- لاَ يحملون مؤَهَّلًا أَكثر مِنَ الليسانس، أَو البكالوريوس.

4- كما كان _وهو المتخصِّص في علوم العربيَّة، وعلوم الشَّريعة_ يحمل درجة الماجستير في الحديث الشَّريف، ويقوم بتدريس المواد الشَّرعيَّة، مِنْ: فقهٍ، وأُصولٍ، وعباداتٍ، ومعاملَاتٍ، وغيرها، أَمَّا بقيَّة المواد، فقد كان يُدرِّسها أَساتذةٌ مِنْ: مصر، والعراق، والأُردن، وفلسطين، فالشَّيخ "مختار" كان الليبيَّ الوحيدَ المؤَهَّلَ للتَّدريس في التَّعليم العالي في تلك الأَيَّام الخوالي.

5- يُعتبر الشَّيخ -رحمه الله- مسؤُولاً، ومؤسِّسًا، وأَوَّلَ رئِيسٍ لقسم اللغة العربيَّةِ، والدِّراسات الإسلَاميَّةِ، بكلِّيَّة التَّربية، مصراتة، بمراحله الثَّلَاثة المتعاقبة:

أ- قسم اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإسلَاميَّة ب- قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة ج- قسم اللغة العربيَّة.

6- يُعتبر قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة الذي أَسَّسه شيخنا -رحمه الله- أَوَّل قسمٍ يتصدَّى لتدريس الدِّراسات الإسلَاميَّة، والشَّريعة، في جامعة مصراتة، وذلك قبل افتتاح القسم النَّظير في كلِّيَّة الآداب، الذي اتَّخذ مِنَ المبنى المجاور لمكتبة سيدي "أَحمد زرُّوق" مقرًّا له.

7- إذا ذُكِرَ المؤَسِّسون في جامعةِ مصراتة، كان الشَّيخ "مختار" مِنْ أَبرزهم.

8- القدرة العلميَّة، والتَّربويَّة، والإداريَّة، العالية التي يتمتَّع بها شيخنا _رحمه الله، وغفر له_.

9- ينظر ما سبق، شهادة أُستاذنا المفضال الدُّكتور "أَحمد الشَّلَابي" في هذا الخُصوص، رقم (2).

10- الشَّيخ _رحمه الله_ لم يُتْقِنْ تخصَّصه فحسب، بل كان مُتْقِنًا لِما يُوكل إليه مِنْ تخصُّصاتٍ أُخرى، حتَّى قال قائِلُهم، إنَّها مِنْ تخصُّصه الذي بَرَعَ فيه، علميًّا، وتربويًّا!

12- كوَّن الشَّيخ علَاقةً وطيدةً بالتِّلميذ والطَّالب، عناصرها غزارةُ العلم، ورفعةُ الخُلُق، كانَ يسبق طلَّابه إلى الفصل، سمحًا لاَ يغضب، ليِّن الجانب، فكان نِعْمَ المعلِّم، ونعم المربِّي فـــ (التَّربية والتَّعليم) إن انفصلَا ضعفا، وربَّما ماتا.

كما كانت علَاقته بأَقرانه، وزملَائِه، وموظَّفي مؤَسَّسته، بل؛ وبالمجتمع، مملوءَةً بالحبِّ، والاحترام، وحسن الأَخلَاق، وهذا ملَاحظٌ لكلِّ ذي لُبٍّ وبصيرة.

11- خاض شيخنا أَيضًا تجربة التَّفتيش التَّربوي، وقد تميَّزت بميزاتٍ هي مدرسةٌ ومنهجٌ علميٌّ وتربويٌّ للعاملين في هذا المجال.

12- يتمتَّع شيخنا بمزيَّة نَبْذِ التَّعصُّب المذهبيِّ.

11- اتَّسمت رسالته بِحُسْنِ التَّصنيف، وجمالِ الصِّياغة، وأَصالةِ المصادر، وإبداعِ البداية، والنِّهاية. هذا، وما كان مِنْ خيرٍ، فمن الله وحده، وما كان مِنْ نقصٍ، فَمِنْ نفسي، والشَّيطان. وصلَّى الله، وسلَّم، على نبيِّنا محمَّدٍ، وآله، وصحبه، والتَّابعين.

الهوامـــــــــــش :

القرآن الكريم.

(1) إفادةُ، وشهادةُ، الأُستاذ الشَّيخ "أَحمد محمَّد بن نصر".

(2) [إفادةُ]، وشهادةُ، أ. د. أَحمد محمَّد الشَّلَابي.

(3) [إفادةُ، وشهادةُ]، الأُستاذ الدُّكتور: محمود محمَّد ملودة.

(4) [إفادةُ، وشهادةُ]، الأُستاذ المفضال: عمر محمد أَبوشعالة، مع الشَّيخ الأُستاذ الدُّكتور المرحوم/ مختار الزُّرقاني.

(5) [إفادةُ، وشهادةُ]، الدُّكتورة الفاضلة: خيريَّة عمر التَّائِب.

(6) [إفادةُ، وشهادةُ]، الأُستاذ المفضال: مختار محمَّد الدَّنفور.

(7) أَخبرني بهذا الموقف أُخوة فضلَاء، هم أَبناءُ صاحب الضَّائِقة الماليَّة -رحمه الله- بعد وفاة شيخنا - رحمه الله- بقليل.

(8) رسالة ماجستير، (أَبو بكر بنُ العربيّ، المحدِّث)، إعداد الطَّالب: مختار عبدالسَّلَام الزُّرقاني، المعيد بكلِّيَّة اللغةِ العربيَّةِ، والدِّراسات الإسلَاميَّة، جامعة ليبيا، جامعةُ الأَزهر/ كلِّيَّةُ أُصول الدِّين، 1394هـ—1974.

1. [إفادةُ]، وشهادةُ، أ. د. أَحمد محمَّد الشَّلَابي، كلِّيَّة التَّربية، جامعة مصراتة، استلمتها مِنْ فضيلته، مكتوبةً بيده، ظُهْرَ يوم الخميس، بكلِّيَّة التَّربية. 16 شوَّال 1445هـ/ 25-04-2024.
2. إفادةُ، وشهادةُ، الأُستاذ الشَّيخ "أَحمد محمَّد بن نصر"، في زميله، وصديقه، ومجايله، الشَّيخ: (مختار الزُّرقاني)، أَملَاه: أَحمد محمَّد عبدالرَّحمن بن نصر، [وكتبه: د. أَحمد محمَّد الشَّلَابي]، استلمتها مِنْ فضيلة الأُستاذ الدُّكتور، [مكتوبةً بيده]، ظُهْرَ يوم الخميس، بكلِّيَّة التَّربية 16 شوَّال 1445هـ/ 25-04-2024.
3. [إفادةُ، وشهادةُ]، الأُستاذ الدُّكتور: محمود محمَّد ملودة، مِنْ خلَال مقابلةٍ شخصيَّةٍ مسجَّلةٍ، على هامش مؤْتمر: تاريخ التَّعليم في مدينة مصراتة، حتَّى عام 1963، 11-12/5-2024، بكلِّيَّة التَّربية، الأَحد 12-05-2024 السَّاعة 05:47 مساءً، مدَّة اللقاء: 11:50 إحدى عشرة دقيقة، وخمسون ثانية.

4. [إفادةُ، وشهادةُ]، الأُستاذ المفضال: مختار محمَّد الدَّنفور، وقد استلمتها مِنْ فضيلته، مكتوبةً بيده، صباح يوم الثُّلاثاءِ، عند السَّاعة: 10:30 تقريبًا، بكلِّيَّة التَّربية، عقب خروجه مِنْ مكتبتها، 12 ربيع الآخر 1446هـ/ 2024-10-15.
5. [إفادةُ، وشهادةُ]، الدُّكتورة الفاضلة: خيريَّة عمر التَّائِب، رئِيسة قسم الجودة بكلِّيَّة التَّربية، جامعة مصراتة، (استلمتها عن طريق الواتس، وورد، يوم الإثنين/ 25 ربيع الأوَّل 1446هجري / 29_09_2024/ الساعة: 03:35 بعد الظُّهر).
6. [إفادةُ، وشهادةُ]، ذكريات الطَّالب/ الأُستاذ الفاضل: عمر محمد أَبوشعالة، مع الشَّيخ الأُستاذ الدُّكتور المرحوم/ مختار الزُّرقاني، كلِّيَّة التَّربية، وكتبه: عمر محمَّد محمَّد أَبوشعالة؛ القاطن بقرية الزَّرُّوق، وهو أَحد طلَّاب المرحوم، يوم السبت، بعد صلَاة العصر: 2024/6/8، ابتدأَها بالسَّلَم عليكم، وختمها بـــ والسَّلَامُ عليكم. (استلمتها عن طريق الواتس، 08-06-2024، السَّاعة: 07:22 بعد عصر يوم السَّبت).
7. [رئَاسة (أَمين) قسم الدِّراسات الإسلَاميَّة، بكلِّيَّة المعلِّمين، مصراتة، جامعة 7 أُكتوبر، أ. أَحمد عبدالله الحويك، أَمين اللجنة الشَّعبيَّة، لكلِّيَّة المعلِّمين، بمصراتة، الرَّقم الإشاري: 2005/523، الموافق: 19-11-2005].
8. [رئَاسة قسم اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإسلَاميَّة، بالمعهد العالي لإعداد المعلِّمين، بمصراتة، (وثيقة): الإدارة العامَّة للتَّعليم العالي، المعهد العالي لإعداد المعلِّمين، بمصراتة، قرار مدير المعهد العالي لإعداد المعلِّمين، بمصراتة: أَحمد عبدالله الحويك، بشأْن تكليف موظَّف، الصَّادر بمصراتة، في 02-10-2000].
9. [رئَاسة قسم اللغة العربيَّة، والدِّراسات الإسلَاميَّة، بالمعهد العالي لإعداد المعلِّمين، بمصراتة، (وثيقة) رئِيس قسم الشُّؤُون الإداريَّة، والماليَّة، بالمعهد: مصطفى محمَّد حمودة، ذات الرَّقم الإشاري: 2000/452، والصَّادرة بتاريخ: 03-10-2000].
10. رسالة ماجستير (أَبو بكر بنُ العربيّ، المحدِّث)، إعداد الطَّالب: مختار عبدالسَّلَام الزُّرقاني، المعيد بكلِّيَّة اللغةِ العربيَّةِ، والدِّراسات الإسلَاميَّة، جامعةُ الأَزهر/ كلِّيَّةُ أُصول الدِّين، جامعة ليبيا، 1394هـ–1974.
11. صحيح البخاري، البخاري، تح: محمَّد زهير بنُ ناصر النَّاصر، دار طوق النَّجاة (مصوَّرة عن السُّلطانية، بإضافة ترقيم: محمَّد فؤَاد عبد الباقي)، ط1، 1422هـ.

لقاءٌ وحديثٌ، يحكي موقفًا مؤَثِّرًا لشيخنا -رحمه الله- أُخوةٌ فضلَاءُ عن أَبيهم -رحمه الله-